بشائر رمضان نصرٌ أم هزيمة

الكاتب : مصطفى يوسف اللداوي

التاريخ : 14 يوليو 2013 م

المشاهدات : 8352

ليس في رمضانَ هزائمٌ أو نكسات، ولا ضعفٌ ولا هنات، ولا انكسارٌ ولا اندحار، ولا ذلٌ ولا مهانة، ولا فرقةٌ ولا خصام، ولا فجورٌ ولا سفور، ولا صخبٌ ولا نصب، ولا ظلمٌ ولا اعتداء.

فقد عودنا شهرُ رمضان الكريم منذ أن فرض علينا المولى سبحانه وتعالى صيامَه، أن يكون هو شهر العزة والكرامة، وشهر الرحمة والمغفرة، والتراحم والتواد، والجود والكرم والسخاء، وأن يكون هو شهر الانتصارات والفتوحات، والعزة والكرامة، والأنفة والكبرياء، فيه تسود قيم التسامح والتغافر، والتعاون والإخاء، والعدل والمساواة.

وفيه ترق النفوس، وتهدأ القلوب، وتترطب الألسن، وتستكين الأرواح، بعد أن تصفد الشياطين، وتغل أيدي المردة المارقين، ولا يكون في الأرض شياطينٌ توسوس، ولا أبالسةٌ من البشر تخطط وتتآمر، تجتمع بليلٍ وتكيدُ بالنهار، بل عبادٌ مكرمون، يذكرون الله وباسمه يتبتلون.

إنها سنة الله في خلقه وفي زمانه لا تتبدل ولا تتغير، فقد كان المسلمون ينتظرون شهر رمضان ليقينهم أنه شهر النصر، وفي

أيامه تكون العزة، وفي لياليه كانت الزحوف العظيمة، والمعارك الفاصلة، فلا ضعفٌ يتسرب خلاله إلى النفوس، ولا يأسٌ ينساب إلى القلوب، بل كان اليقين كله ينشأ في رمضان، ويكبر في لياليه، ويتعاظم كلما اشتد الحر وطالت ساعات الصيام، وكان الصغار قبل الكبار يعرفون أنه شهر العظمة، وشهر القوة والكرامة، فما هان المسلمون في أيامه، ولا هزموا في ظلاله، ولا نجح العدو في التسلل إليهم مستغلاً صيامهم، أو خواء بطونهم، وضعف أجسادهم، أو حرارة شمسهم، وقيظ نهارهم.

فهل يكون شهر رمضان في أعوامنا هذه امتداداً لسنته في السنين الماضية، فيستعيد فيه العرب والمسلمون قوتهم وعزتهم، وينتصرون على عدوهم، ويحققون النصر على نفوسهم، ويصفدون بأيديهم شياطين الإنس، ممن يتآمرون علينا، ويكيدون لأمتنا، ولا يتمنون لنا الخير، ولا يحبون لنا الصلاح، فيردون كيدهم إلى نحورهم، ويبطلون سحرهم ويتقون شرهم، فلا يكون بين العرب والمسلمين في شهر الخير عداوةٌ ولا كراهية، ولا تسود فيهم الحروب والنكبات، ولا تظهر بينهم الفواحش والمنكرات، ولا تطغى عليهم الفتن والمحن، بل يتجاوزون أزماتهم، ويتمكنون من حل مشاكلهم، بما يحقق لهم الأمن والسلامة والكرامة والسيادة والريادة.

نحن في أمس الحاجة إلى شهر رمضان، شهر الرحمة والإحسان، شهر التسامح والغفران، لنخرج مما نحن فيه من أزمة، ونجتاز بإرداتنا هذه الضائقة، ففي رمضانَ إن صدقت نوايانا الفرج، وفيه إن عقدنا العزم النجاة والفوز، فقد والله عصفت بنا الدنيا، وآذت نفوسنا، وخربت بلادنا، ودمرت بنياننا، وقتلت رجالنا، وشردت أهلنا، وشوهت وجوهنا، وأساءت إلى سمعتنا، ومزقتنا شيعاً وأحزاباً، وفرقت جمعنا، وشتت شملنا، وجعلتنا كالقشة في مهب الرياح، لا وزن لنا ولا استقرار، وكالغريق في البحر، يستنجد بكل من يرى، ويلوح بيده لمن ظن أن على يديه النجاة، ولو كان عدواً أو متآمراً.

قلوبنا جميعاً تتعلق برب شهر رمضان، الذي فرض علينا صيامه لتزكو نفوسنا، وتسمو أرواحنا، أن يمن علينا برحمته وسكينته، فما من أرضٍ للمسلمين إلا وأصابتها يد البلى والخراب، ولحق بها عبث العدا وأمل السراب، فأم الدنيا مصر حائرةٌ مضطربة، تمور مور البحار، وتغلي كما الماء في المرجل، ضل أبناؤها، وتاه حكماؤها، وأخطأ عسكرها، وتآمر المفسدون فيها، فأفسدوا على أهل مصر أفراحهم، وأوحوا إليهم بأن ما حققتموه ليس نصراً، ولا هو الأمل الذي تنتظرون، فأدخلوا مصر في غياهب جبٍ لا قعر له، ولا نجاة منه.

وعلى أبواب الشهر الفضيل نذكر سوريا، الأرض الطيبة الحبيبة، والشعب الصادق العزيز المناصر، فقد اكتوى بنار الفتنة، ودخل في أتونِ حربٍ لا تنتهي، وخاض معارك كالطاحون، تأكل تفالها إن لم تجد ما تطحنه، فحرقت بنارها قلوبنا وأكبادنا، وأوجعت نفوسنا، وأدمت عيوننا، وما زالت تجري بنا نحو خطوبٍ لا نعرفها، ومصائرَ لا ندركها، ونهايةٍ نخاف منها ونخشى على أنفسنا من ويلاتها، وهي التي كانت دوماً أرض نصرةٍ وبلاد إسناد، تقاتل دفاعاً عن قضايا أمتها، وتضحي بأعظم رجالها نصرةً عن سيادة الأمة وكرامتها، فهي بلاد سليمان الحلبي وجول جمال وعز الدين القسام، ومن قبل هي أرض العز بن عبد السلام.

أما فلسطين فلها في كل رمضان مع الأمة قصة، ومع شعبها حكاية، ومع عدوها معركةٌ وملحمةٌ، فهي جرحٌ نازف، وألمٌ دائم، ومعاناةٌ باقية، لا تنتهي خطوبها، ولا تتوقف فصولها، ولا يمتنع عدوها عن إيذائها، وإلحاق الضرر بها وبأبنائها، وقد كانت قبل المحن، وما زلت بعد الدم والألم، تكبر معاناتها ولا تصغر، وتتعاظم تضحياتها ولا تقل أحزانها، وهي التي كانت تتطلع إلى أمتها، وتأمل في رجالها، وتشعر بأنهم معها يساندونها، وينصرونها ويقفون إلى جانبها، ولا يتأخرون عن نصرتها، والتضحية من أجلها بأقصى ما يملكون، وبأعز ما يقتنون، فهي أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وقبلة المسلمين الأولى، التي يتطلعون إلى تحريرها واستعادتها، وقد أعادوها يوماً في رمضان، وفيه يأمون أن يستعيدوها من جديد، ولكن هموم بلادهم، وشجون شعوبهم قد شغلتهم وأبعدتهم.

لعلنا لا نعرف قيمة شهر رمضان، ولا ندرك فضله وأثره وقدره، فهو عند الله عظيم، وعند رسوله الكريم شهر الخيرات والإحسان، أما عدونا فهو يعرف هذا الشهر، ويدرك قيمته وأثره، وقد اكتوى بنار القوة فيه، وعانى من إحساس عزة المسلمين خلاله، ففيه سجل المسلمون عليه أعظم انتصاراتهم، وخاضوا أكبر معاركهم، وسطروا بدمائهم الزكية، وعروقهم العطشى، أعظم صفحات البطولة والتحدي، ما جعل العدو يخشى قدوم شهر رمضان، ويتهيأ له قبل حلوله بفترة، مخافة أن ينال منه العرب والمسلمون، وينتزعوا منه ما اغتصبه وسرقه وصادره منهم.

هل نؤوب في شهر رمضان الفضيل، وننتصر على أنفسنا، ونرحم شعوبنا وأجيالنا، ونوقف حمامات الدم في بلادنا، وننهي الأزمات التي لحقت بنا، وننتقل بشعوبنا نحو الحرية والكرامة، فلا نغتصب منهم السلطة، ولا نلهب ظهورهم بسياطها، ولا ننقلب على إرادتهم، ولا نتآمر على مصائرهم، فيكون شهر رمضان في عامنا هذا شهر الانتصار الأكبر، والفتح العظيم، إذ لا انتصار أكبر من استعادتنا لكرامتنا، وامتلاكنا لقرارنا، واستقرار واستقلال بلادنا وأوطاننا.

المدينة الإخبارية

المصادر: